صنع من الشعر رسالة.. ومن التصوف ملحمة..

الشاعر محمد إقبال.. القيثارة التي تطرب لها الأذن وتتعلق بها النفس

القاهرة/الثورة

◁ محمد إقبال.. واحد من كبار شعراء الإسلام، ولو كان- قد قدر - وامتد نهر الحياة بـ«ابن سلام الجمحي» وأدرك «إقبال» وتنسم عبير شعره لأدرج اسمه ضمن فحول شعراء العرب والإسلام في كتابه القيم «طبقات فحول الشعراء».

و«محمد إقبال» شاعر من شعراء الإنسانية بمعناها الشامل الذي يتخطى حدود وطنه، فهو صاحب الفكرة التي تمخضت عنها تأسيس دولة «باكستان» في عام ١٩٤٧م حينما صرح عام ١٩٣٠م بأن مسلمي شمال غرب الهند يجب أن تكون لهم دولة مستقلة ، فأطلق بهذا التصريح دعوة صريحة لقيام الدولة الإسلامية في هذه البقعة التي تبلورت في قيام قوة إسلامية كبيرة هي «باكستان»..

ولد الشاعر الباكستاني الكبير «محمد إقبال» في ٢٢ فبراير سنة ١٨٧٣م بقرية «سيالكوت» بإقليم «البنجاب» التابع للهند- آنذاك - بمنزله المطل على نهر صغير يستقي منابعه من «درياسند» النهر الكبير بلا هور..

تلقى تعليمه الابتدائي في «سيالكوت» على يد أستاذه الأول «شمس العلماء مير حسن» الذي شهد تفوق «إقبال» المبكر وتبنى مواهبه بالرعاية والنصح والتوجيه، وبعد سنوات عشر التحق «إقبال» بجامعة «جورمنت» في لاهور، ثم سافر ليتم تعليمه في القارة الأوروبية، وفي عام ١٩٠٥م التحق بجامعة «كمبريدج» في إنجلترا وهناك درس الفلسفة وتبحر في علومها على يد «دراورن لد» وهو واحد من كبار أساتذة الدراسات الفلسفية في انجلترا ثم ما لبث أن ترك إنجلترا ليلتحق بجامعة «ميونيخ» بالمانيا والتي حصل فيها على درجة الدكتوراه بتفوق ملحوظ وكان موضوع الرسالة «تطور الميتافيزيقا- أو علم ما وراء الطبيعة - في إيران» ثم عاد بعدها ليعمل أستاذاً للفلسفة والأدب الإنجليزي في جامعة «جورمنت» في لاهور، حيث سبق أن تخرج فيها، وإقبال يعد تاريخاً في حد ذاته فهو واحد من القلائل الذين طبعوا الشعر وأمسكوا بلجامه، حيث جعل الشعر خادماً في حضرة الإسلام لا كما يفعل الآخرون حينما يجعلون أنفسهم خداماً في صومعة الشعر..

● يقول د. أحمد عمر هاشم- رئيس جامعة الأزهر السابق-: إن «إقبال» لم يكن شاعراً إسلامياً ينبض قلمه وقلبه بحب الإسلام فحسب، إنما كان واحداً من أبطال الكلمة، ولذلك مثل الهند في مؤتمر الدائرة المستديرة الذي انعقد سنة ١٩٣١م وتبعه مؤتمران سنة ١٩٣٢م مثل فيهما بلاده، ودنت قطوف النصر بالحرب العالمية الثانية التي دخلتها الجيوش الهندية لتظفر بالإستقلال فيما بعد، فتنشأ دولة «باكستان» حيث الدولة المسلمة وقيام الكيان الإسلامي في هذا الربع من ربوع آسيا بعد سنوات من رحيل «إقبال» إلى الرفيق الأعلى..

ويضيف د.عمر هاشم: لامراء في أن «محمد إقبال» عاش ربانياً وقرآنياً معاً ثم صار صوفياً، فهو يرحل في أحد ملفاته بنفسه الشفافة بين أجرام السماء معارضاً «دانتي» شاعر إيطاليا في ملحمته «الكوميديا الإلهية» فيصطحب شاعر الصوفية الأشهر جلال الدين الرومي في جولة بين ربوع السموات العليا بعيداً عن أحقاد البشر وزيفهم، إن «محمد إقبال» هو قيثارة الإسلام التي تطرب لها الأذن وتتعلق بها الأنفس، لم يكن شاعراً نبضه الإسلام فحسب، وإنما كان رجلاً يجري في كل أوصاله الإسلام ويملأ قلبه نور القرآن فيشع فيضاً من البركات في صورة شعر يملأ على المسلم كل خلجة من خلجاته، ويكفي أنه الشاعر الذي كانت أفكاره هي البذرة التي أنشأت دولة باكستان المستقلة..

فيلسوف الإصلاح الاجتماعي

● ويضيف د.صلاح الدين الهادي أستاذ الدراسات الأدبية بجامعة القاهرة أن «محمد إقبال» هو فليسوف الإسلام الذي دعا إلى الأخلاق السامية ونفخ بأناشيده روح الحياة والطموح إلى العلا، ولـ«إقبال» العديد من المؤلفات العظيمة التي تدعو إلى حتمية الإصلاح الاجتماعي فهو يرى أن إنكار الذات هو القوة الخفية للإسلام علماً بأن الإسلام لم ينكر سعي الإنسان لإثبات ذاته وجعل إثبات الذات عن طريق التضحية في سبيل القضايا الكبرى وحياة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحبه من أبلغ الدلائل على ذلك.

والمكتبة الإسلامية تزخر بمؤلفاته القيمة كـ«رسالة المشرق، هدية الحجاز» و«زبور العجم» الذي وصف فيه أحوال المسلمين وذكر أسباب غلبة الغرب والعجم على العالم الإسلامي وتدخلها فيه وتأثيرها عليه، رغم عظمة وجلال ما يحمله المسلمون في قلوبهم وعقولهم من خلاصة التوجيه الإلهي لكسب نعيم الدنيا والآخرة ودعا من خلال كتابه «إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام» إلى فتح باب الجهاد والتواؤم مع العصر.

ويضيف د.«الهادي»: إن رحلة «إقبال» المسماة بـ«جاويد نامه» أو«الرسالة» تعد نبراساً في تأريخ التأليف الإسلامي، حيث لم يغلب عليها الطابع الأدبي كـ«رسالة الغفران» لأبي العلاء، ولم يغلب عليها الطابع الصوفي كما في «منطق الطير» عند فريد الدين العطار، ولم تقتصر على أحاديث الأنبياء في السماء كما في «رسالة الإسراء لمحيي الدين، وإنما جاءت «الرسالة» لـ«إقبال» في صورة حوار مع شخصيات تعطي النماذج السوية المتكاملة في قطاعات الحياة عموماً ،وفي بؤرة الشباب بصفة خاصة.

ومؤلفات «إقبال» كثيرة، منها ما أحرز به درجاته العلمية في لاهور وأكسفورد وميونيخ، والكثير منها موجه للأمة الإسلامية.

إن «إقبال» هو شعاع من قوة الشخصية عرف ثقافة الغرب كما لم يعرفها قرناؤه، وكان متفوقاً في وسام من التألق ، بهر علماء الغرب وخلب لب علماء وجماهير الشرق ، ورغم أن سنة لم يتعد «٣٢ سنة - آنذاك- إلا أنه فتح قلبه وعقله للإسلام فكان معه وكان به وكان له..

● ويؤكد الراحل الشيخ عطية صقر من علماء الأزهر الشريف أن للتصوف أثراً كبيراً في حياة «إقبال» حيث وجد رجال الأمة يأخذون بأسباب التصوف وأطلع على كثير من أفكار المتصوفة، ووجد في نفسه ميلاً إلى التصوف لكنه خشي على نفسه ، فليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وسرعان ما انتبه لهذا الأمر ونأى بنفسه عن أن يكون صوفياً على عادة المتصوفة الذين ينعزلون عن المجتمعات ويعكفون في وحدة وعزلة، واتجه إلى العمل الدؤوب من أجل خدمة الإسلام ونصرته..

وأضاف: إن «إقبال» دعا إلى أن يعكف الإنسان المسلم على تربية نفسه وعلى تثقيفها لكن عليه أيضاً أن يخرج إلى المجتمع وأن يحيا بين جنباته وأن يسهم في حركة المجتمع وأن يؤكد ذاته على هذا الطريق تأكيداً تاماً متفاعلاً مع مجتمعه عاملاً على إيجاد الحلول لمشكلات مجتمعه، وكان «إقبال» يميل في شعره إلى التصوف والفلسفة مع نزعة واضحة نحو الإصلاح الاجتماعي، ويرى أن إصلاح العالم الإسلامي يمكن أن يتحقق عن طريق تطبيق الشريعة الإسلامية.

ويذكر لنا الشيخ «عطية صقر» قول «إقبال» في قصيدته«أسرار الكائنات».

إلهي، إني أسكب دموعي الفياضة على ذاتي..

مثل شمعة الليل:

لقد أضنيت نفسي في سبيل أن يكون للآخرين .. مزيد من النور.. ومزيد من الحب.. ومزيد من الفرح..

نار الغرب وجنة الإسلام

● الشاعر محمد التهامي يقول عن شعر«إقبال» : إنه لم يكن غاية في حد ذاته بقدر ما كان وسيلة لا ستنهاض عزائم الأمة الإسلامية حتى لا تدع غيرها يتفوق عليها، كان استحثاثاً لهذه الهمم إلا تقنع بقدر من العلم تستطيع أن تظفر بأعلى منه ، حتى لا يكون هناك أمة أخرى أعظم أو أقوى من أمة الإسلام.

ويضيف: إن «إقبال» كان محباً لله ورسوله ، ولكنه لم يكن يكتفي بمجرد الحب كعاطفة يعبر عنها بالشعر فقط وإنما كان يترجم حبه بالاتباع، وكان دائما يدعو الأمة إلى اتباع النهج الإسلامي القويم، وهو ما كان يدعوه إلى الأخذ من الحضارة بما يتفق مع فطرة الإنسان المسلم، وكان شامخاً فخوراً بكل ما جاء به الإسلام من أسس تكفل السعادة والهناء وكان يقول: «لقد أخرجني الله من نار الغرب كما أخرج إبراهيم من نار النمرود».

ويورد لنا الشاعر«التهامي» ما قاله«إقبال» حينما زار المدينة المنورة وقبر الرسول حيث قال: «خذ من أعصابنا طلباً لخيمتك، ومن جماجمنا ابن عليها قصرك» وقوله بعد زيارته لمكة وطوافه بالبيت العتيق: «كالنيل بمياهه الزرقاء الهادئة، إذا نظرت من الساحل سترى أمواجه مستوية لا تشذ منها واحدة كذلك المسلمون في استوائهم وهم يطوفون بالبيت الحرام، فلا فرق بينهم لأن ما جرى في عروقهم دم واحد»..

ويضيف «التهامي»: إن «إقبال» لم يدع مرة واحدة أنه شاعر ولم يكن عنده وقتاً لكي يفكر في المصطلحات الشعرية أو بنيويات القصائد، بل كان يعتبر الشعر وسيلة للتعبير لا منهجاً - في حد ذاته - للحياة ، كان يهدف إلى إحداث انقلاب وثورة في الأحاسيس والمشاعر، ولم يكن «إقبال» فليسوفاً بهذا المعنى حيث لم يترك لنا أي نظام فلسفي مستقل، بل استعان بالعلوم الفلسفية في مطالعته للعلوم المادية والروحية في حياتنا ، وذلك لأن الأسلوب الفلسفي وحده لا يكفي لفهم الحقائق الروحية ولم يدع «إقبال» أنه شيخ رغم حبه وكثرة اطلاعه على العلوم الإسلامية بل إنه اعترف بقوله «لست شاعراً ولا شيخاً، ولست أديباً في اللغة العربية» يا الله منتهى التواضع والشموخ رحم الله!!

«إقبال» القائل:

وما زادني شرفاً وفخراً
وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك : يا عبادي..
وأن صيرت «أحمد» لي نبياً

نعم لم يكن فيلسوفا ولا شيخاً ولا أديبا، ولكنه كان قصيدة تمشي على الأرض فتنشر عبقا إسلاميا رائعا في زمن تلوث فيه الهواء بدخان «الشيوعية» ونفايات «الإلحاد» ورياح معاداة كل ما هو إسلامي»

● من ناحية أخرى يرى د. حامد طاهر - أستاذ الفلسفة الإسلامية ونائب رئيس جامعة القاهرة أن أهمية شعر «إقبال» تنبع من موقفه وأفكاره لأنه يعد مفكراً إسلامياً قبل أن يكون شاعراً حمل لواء الدفاع عن الإسلام بقلمه- على حسب تعبير د. طاهر ويضيف: إن «إقبال» كان يدرك تماماً أن الحضارة هي الأخلاق، وأن الحضارة بدون أخلاق تدمر نفسها، وأن حضارة الإسلام هي الحضارة الأخلاقية ولذا فهي الحضارة الباقية أما حضارة المادة أو حضارة الغرب فهي حضارة تقتل نفسها.

ويؤكد د. طاهر أن «إقبال» لم يكن يدين لشرق ولا لغرب، وإنما كان يأخذ هذا من منهج الإسلام الذي جعل الناس سواسية كأسنان المشط، وأن «إقبال» كان مفكراً عبقرياً ينبغي أن تعرض أفكاره على كل أبناء العالم الإسلامي، لأنها تدعو إلى النهضة وتحث على التقدم وتمنح الشباب روحاً جديدة لإحياء مجد الإسلام..

ويوضح د. طاهر أنه رغم أن«إقبال» كان حريصا أشد الحرص على أن تترجم أعماله إلى العربية إلا أن هذا لم يتحقق بصورة كاملة حتى الآن، ويوجه د/ طاهر الدعوة للباحثين ووسائل الإعلام لإلقاء الضوء على ذلك الرجل الذي كرس جل جهده وفكره من أجل رفعة الإسلام، والذي لم ينل حتى الآن ما يستحقه لأن فكره يتجاوز حدود بلاده إلى كل أنحاء العالم الإسلامي ، ذلك الرجل الذي أحدث التوزان في شعره بين أجود العناصر في التراث الإسلامي وبين أيدلوجيات الحياة المعاصرة..

وداعاً «إقبال»

وفي يوم ٢١ أبريل عام ١٩٣٨م انتقل الشاعر والمفكر الباكستاني الكبير «محمد إقبال» إلى جوار ربه ودفن جثمانه الطاهر في لاهور حيث يجري نهر «درياسند» حاملاً أشعاره وأفكاره العظيمة، ينهل منها كل مريد في وطنه والعالم أجمع مخلفا وراءه عدداً ضخماً من المؤلفات والمراجع التي ترجمت إلى معظم اللغات، وتاركا خلفه ١٠ دواوين شعرية ٧ منها بالفارسية و٣ باللغة الأوردية وترجم بعضها للعربية، وقد أهدى مؤلفاته المترجمة إلى العربية لمكتبة الأزهر الشريف بالقاهرة..

رحل «إقبال» تاركاً ابنه «جاويد» قاضياً كبيراً بدار الخلافة بلاهور رحل وهو يحمل لقب «سير» الذي منحته له بريطانيا عام ١٩٢٨ تقديراً لعطائه الخالد، وكان- رحمه الله- مدركاً تمام الإدراك أن الجسد يفنى وما يبقى هو ما تخلده به البشرية مما ترك من ذخائر فكره وعلمه وقلمه، فآثر أن يدون بيده ما يرضي به ربه وما ينتفع الناس به فكان واحداً من أعظم الشعراء والمفكرين في عصره، وما زالت آثاره باقية بيننا شاهدة على واحد من العظماء سخر فكره لخدمة الإسلام فخلدته أعماله، وقد أقيم بجوار الجامع الكبير «شاهي مسجد» بلاهور متحفاً يضم كل مقتنيات الشاعر وبجواره مقبرته حيث الثرى الطيب يحوي رفاته..

بريخت.. حاضره اليوم وأثره في الخشبة العربية

■ د. حسن عطيه

■ محمود أمين

■ فريدة النقاش

■ سعد أردش

القاهرة/الثورة

▫ كتب برتولد بريخت اولى مسرحياته «بعل» وهو في الحادي والعشرين من عمره «١٩١٨م» وسبقها ببعض الاغاني والقصائد القصصية «البالاد» ولاشك ان «بعل» حملت حياة بريخت الشاعر والفنان الذي خالط الصعاليك والفنانين المتجولين والعمال العاطلين وارتاد الحانات والحواري والازقة الضيقة ، وبذلك عبرت المسرحية عن واقع الفرد واغترابه في مجتمع لا يحقق له امكانيات الحياة الضرورية ، ويدفع به نحو مناطق التوتر والضياع وهو الشكل السائد للكتاب المعاصرين للحرب العالمية الأولى من امثال كافكا ودوبلن وفيرفل وغيرهم .

وانطلق بريخت بعد ذلك ليؤسس منهجه الملحمي في المسرح الذي هدف من ورائه الى كسر اندماج الممثل في الشخصية المسرحية التي يقوم بها وتحرير المتفرج ايضا من هذا الاندماج السلبي ، ليكون اهم انقلاب في جماليات العرض المسرحي في القرن العشرين وعبر سنوات ابداعه التي شارفت على الاربعين عاما ، استطاع بريخت ان يضيف الى صلب الدراما تيارا قويا بظلاله على خشبة المسرح في كافة ارجاء العالم .

ومع بداية الخمسينات انتقل مسرح بريخت إلى الخشبة العربية في مصر ولبنان وتونس والمغرب والعراق وغيرها لتتجلى تأثيرات هذا المسرح «البريختي» في كافة عناصر المسرح من كتابة وإخراج وتقنيات جمالية ، ومازال بريخت يمارس حضوره في المسرح العالمي ومن ثم تنهض الاسئلة حول ماتبقى منه عربيا ، وتأثيراته على الخشبة العربية وحاضره اليوم ومستقبل منهجيته .

يقول المخرج سعد أردش : ان بريخت او منهج بريخت بالرغم من سقوط الايديولوجية الماركسية التي قام عليها، يظل منهجا فكريا وفنيا صالحا للتطبيق في كل زمان ومكان ، واهميته تتركز في أنه المنهج أو الاداء الوحيد في الدراما الذي يحقق وظيفة التنوير كما ينبغي ان يتحقق وهو يسعى الى العدل الاجتماعي في غيبة الايديولوجيا ومسرح بريخت فرض نفسه متأخرا فقد عرضنا له مسرحية تعليمية «القاعدة والاستثناء» سنة ١٩٦٢م في مسرح الجيب ، واخرجت له مسرحية « الانسان الطيب» سنة ١٩٦٦م ، ثم «دائرة الطباشير القوقازية» سنة ١٩٦٨م مع المخرج الالماني كورت فيت وقد فرض بريخت نفسه أيضا على المسرح في سوريا والعراق ولبنان بشكل خاص، كما تم تقديم مسرحية «الأم شجاعة» التي أخرجتها ليلى يوسف في اوائل السبعينات ، ولكن بريخت تسرب كمنهج إلى معظم كتاب المسرح المعاصرين والذين حاولوا مناقشة قضايا الأمة الاجتماعية والسياسية ، ونلاحظه بشكل واضح لدى أعمال الراحل سعد الله ونوس وألفريد فرج.

وتسرب بريخت أيضا إلى الكثير من المخرجين العرب الذين زاوجوا بين منهج ستانسلافسكي ومنهج بريخت العقلاني القادر على توصيل الدلالة بشكل أوضح للجماهير وأيضا الممثلون العرب الكبار تسرب إليهم منهج بريخت من خلال القراءة أو المشاركة في أعماله، مؤكدا أن منهج بريخت صالح حتى الآن إلى أن يظهر كاتب آخر يتفوق عليه في تغليب مصالح المجتمع، ورغم محاولات بيتربروك وداريوفو وتشايتا وغيرهم ، إلا أنها لا تصل إلى المستوى الذي حققه بريخت بعلاقته مع الجمهور، وهذا لايقلل من شأن هؤلاء ولكنهم داروا في مدارات ابداعية جمالية واهتموا بوسائل الأداء المعاصرة.

ويقول «أردش » ولعل السر الحقيقي في عظمة بريخت واعتباره بحق شاعر الإنسان الحديث، هو قيام أدبه وشعره أساسا على أنكار التقييم التقليدي للجمال ورفضه الطابع الأخلاقي في الانتاج الفني ، ورده هذا الانتاج إلى وظيفته الانسانية والاجتماعية ، وقد أدى إيمان بريخت بوظيفية الفن إلى تناول معظم أعماله بالتعديل والتبديل وإلى مصاحبتها بالشروح النظرية بل وإلى الدعوة الصريحة إلى من تناول أعمال المسرحية بالتنفيذ أن يكون حريصا على تحقيق الوظيفة الفعالة لهذه الأعمال في المجتمع الذي تقدم إليه.

العلبة الايطالية

ويقول الناقد محمود أمين العالم: أعتبر بريخت رؤية مسرحية جديدة غير الأرسطالية التي تقوم على التطهير والاندماج الوجداني كأن مايقدم على المسرح حقيقي وهذا ما عارضه بريخت ومسرحه القائم على «المباعدة» حتى لايندمج الممثل في الدور، وأيضا المشاهد الذي يجب أن يكون يقظا وحاضرا طوال العرض ، ويدرك أن ما يراه ليس حقيقة وإنما تمثيل، ولايكون موقفه إندماجيا- بل موقف المفكر والمتأمل ، ومسرح بريخت تحريض تثقيفي أيديولوجي ، وهو امتداد لكاتب آخر هو بيسكاتور، وهناك بيترفايس، وبيتربروك الذي قدم مسرحية عن الولايات المتحدة ، وهي مسرحيات تدعو إلى اتخاذ موقف تحريضي وتعليمي.. وليس من شك في أن بريخت يحتل الآن مكانة في قائمة أعظم كتاب العالم وأعمقهم أثرا في حياة إنسان القرن العشرين وهناك العديد من الأعمال التي قدمت له على المسرح المصري مثل «الأم شجاعة» و«دائرة الطباشيرية القوقازية» و«القاعدة الاستثناء»..

إن المسرح العربي في الستينات ومرحلة المد الوطني والقومي قدم لبريخت العديد من أعماله على الخشبة العربية ، وهناك مخرجون وكتاب استفادوا من منهجية بريخت في إبراز قضايانا الاجتماعية والسياسية ، بل إن بريخت موجود أيضا في مسارح الأقاليم، وهناك أعمال تقدم على طريقة بريخت، وهي مسارح تجريبية يقوم فيها الحوار بين الممثل والمتلقي ، ولاشك أن بريخت قد كسر العلبة الايطالية ، وازداد في هذه الآونة تنويع هذه التجربة مع أشكال مختلفة وواقع ملتبس وتفتحت آفاق مسرحية جديدة، إن المسرح سيزداد استيعابا لتجارب لاحد لها ، وإذا كانت الأرسطية أو الملحمية قد شطرا الدراما إلى نصفين ، فإن الدعوة قائمة لكتاب جدد ومخرجين جدد لتأسيس مسرحي بديناميكيات مغايرة ولكن تبقى قضية الإشكال الإجتماعي والثورة على الواقع والرغبة في التغيير هي مقومات (بريختية) صالحة لكل عصر.

صدمة التغريب

يقول الناقد إبراهيم فتحي : تأثير بريخت واضح جدا ولم يعد قاصرا على بعض المؤلفين أو كسر الإبهام ومحاولة إحداث صدمة ، بل أصبح كل ذلك تقنية معترف بها ، ويقوم بها معظم المسرحيين ، فقد ألقى بريخت بظلاله على الإخراج والتمثيل وكافة مشتملات العرض المسرحي فالممثل الذي يقنعك بأنه يمثل هي تقنية بريختية والمشاهد الذي لايستغرق في العرض أو يتوهم بأن مايعرض طبيعي - لأن هناك مسافة لإعادة النظر والتفكير في النص وهذا ماكن يقصده بريخت.

ويضيف فتحي : ولكن كثيرا من المسرحيات الموجودة الآن لاتهدف إلى التغيير حتى لو استخدمت كسر الإبهام، ولكن تأثير بريخت واضح جدا في مسرحيات ألفريد فرج وسعد الله ونوس وميخائيل رومان ومحمود دياب وغيرهم ، فقد وعى هؤلاء أن الهدف المسرحي هو التفكير والتغيير من خلال المنهج الملحمي الذي استخدمه بريخت ، ولم يقف هؤلاء عند تقنيات بريخت فالفن لايكفي فيه المحاكاة بل لابد من الاضافة ، وهذا لايمنع أن يظل منهج بريخت لقرون طويلة مثل المنهج الأرسطي ، وأن يتكيف مع الاحتياجات الجديدة.

ثم يقول: إن ما قدمه بريخت صالح للحاضر والمستقبل وهناك امتداد وتطور لتقنياته، فالفنان البريختي هو الذي يحرر الجمهور من التقمص، وإذا كانت منهجية أرسطوطاليس حاضرة منذ قرون طويلة ، فمنهجية بريخت قابلة لأن تدخل قرونا أخرى وأن تتكيف مع الاحتياجات الفنية الجديدة.

تيار بريخت

تقول الناقدة فريدة النقاش: لم يستنفد برتولد بريخت قدراته وإمكاناته الكامنة بعد في المسرح العربي ولا العالمي ، بالرغم من تأثيره القومي في الأجيال الجديدة من الكتاب والمبدعين المسرحيين في العالم العربي ، ومازال بريخت ومسرحه الملحمي الذي يعتمد على ذاكرة الجماعة وقدرتها على أن تخط لنفسها أفقا للمستقبل ليس مجرد موضة عابرة تنبثق ثم تنطفئ كالشهاب لأنها تلبي حاجات عابرة.

وتضيف : إن مسرح بريخت يلبي حاجات عميقة ودائمة الحضور في عصرنا وأحددها على النحو التالي:

إن مسرحه الملحمي اعتمد اعتمادا كبيرا على دور الجمهور وعلى كسر الإبهام وعلى النزعة التعليمية من جهة ثالثة، وحاول في هذه التركيبة التي قطعت مع تراث الخشبة المغلقة الايطالية وميزت عصرا هو عصر الشعوب ليختلف بشكل جذري عن المسرح الشكسبيري الذي اعتبره قمة ما أنجره في هذا الميدان ، وجاءت هذه التركيبة كي تعبر في تجاوز العالم البرجوازي، وخلق عالم شعبي حقيقي عبر المسرح ، وبالتالي كان لابد أن تصبح أدواته وقيمه ورؤيته للعالم جديدة كل الجدة ، لتميز عصرا بكاملة مازالت امكانيات هذا المسرح فيه لم تستنفد بعد، أي العصر الذي تشعر فيه الشعوب جميعا إلى تجاوز الوضع الراهن للرأسمالية وبناء عالم جديد بقيم جديدة وأفكار جديدة.

وتضيف فريدة النقاش : لقد أثر بريخت واسعا في كل أجيال المسرحيين في الوطن العربي منذ عرفناه في الخمسينات فتأثر به أهم الكتاب من محمود دياب وميخائيل رومان (مصر) وعبدالكريم برشيد (المغرب)، وعز الدين مدني (تونس) وروجيه عساف ونضال الأشقر (لبنان) وقاسم محمد ويوسف العاني (العراق) أي أن بصمته كانت وماتزال واضحة جدا على المسرح العربي ، وليس فقط من زاوية الكتابة فقط بل من زاوية الأداء والاخراج والديكور ، فعلى سبيل المثال كان بريخت يدعو إلى إضاءة شاملة لكي لايوحي بأي شكل من الأشكال أن مايقوم به حقيقي، ويدعو المتفرج إى دور ايجابي وليس كمتلق سلبي.

وتؤكد فريدة: إن هذا التأثير العربي مازال مستمرا بأشكال مختلفة حتى الأجيال الجديدة ، واستمراره تعبير عن ضرورات موضوعية واحتياجات عميقة يلبيها هذا الشكل الجديد، وهذا لايعني أن تيار بريخت في المسرح الملحمي وأحد أدواته الأساسية التغريب، أي خلق مسافة بين المتلقي والعمل وتدعوه بل تستحثه إلى التفكير والتأمل النقدي، هو التيار الوحد بل التيار النقيض الذي قام على اساسه مسرح بيتربروك وبيترفاوس على الصعيد الاوروبي والأمريكي والتنويع عليه واعادة خلقه حتى من واقع النصوص المسرحية القديمة.. ولم يقل أحدهم أو توقفت حركة النقد ليقول إن مسرح بريخت انتهى ، مثلما قلنا مثلا إن العصر الرومانسي انتهى.

وتضيف الناقدة المصرية الاشارة إلى أن بريخت كان مناضلا وشاعرا وفنان مسرح ، وسوف يبقى تأثيره مثلما بقي تأثير شكسبير، وربما بنفس القوة والزخم ، وهو تعبير عن احتياجات كامنة ولم يجر التعبير عنها بشكل واضح مثلما عبر بريخت ، هذا ليس معناه أن تيار بريخت يبقى دائما هو التيار الوحيد ، فنحن نعيش في مجتمعات لها طابع التعدد ، وسوف تبرز تيارات أخرى ، لكن تيار بريخت سيظل هادرا وقويا لأنه استلهام لاحتياجات عميقة في التحول الموضوعي للانسان ، نحو تجاوز عالم الفوضى والوحشية إلى عالم أفضل وأرقى.

الاستثناء والقاعدة

ويقول الناقد د، حسن عطيه: بقي من بريخت الكثير وتأثيراته الأساسية على المسرح العربي ليست فقط من خلال التأثير المباشر ، وإنما أيضا تأثيره في الكتابة الدرامية لدى عدد كبير من الكتاب مثل سعد الله ونوس وألفريد فرج ويسري الجندي وغيرهم ، وبالنسبة لصياغة العرض المسرحي والتعبيرات التي طرحها بريخت مثل كسر الحائط الرابع والجدل مع الجماهير ، وفهم المسرح كأداة تأثير تغييري وتنويري في المجتمع.

إن مسرح بريخت يعتبر أهم انقلاب مسرحي في جماليات العرض المسرحي في القرن العشرين، ولذلك سيبقى تأثيره مستمرا إلى زمن طويل قادم، طالما المسرح العالمي وليس العربي فقط في حاجة للتجديد.